مُعسكراتُ الاعتقال والتّعذيب في التاريخ الأوروبّي

■ أ.م.د مُحمَّد المحمَّد الحسين[1]

ملخّص

يتناولُ هذا البحث، معسكرات الاعتقال والتعذيب في التاريخ الأوروبي، وما اقترفته أيادي السياسات الأوروبية، الأكثر وحشيةً في تعاملها مع المعتقلين داخل المعتقلات والسجون التي أنشأتها، خلال مسيرتها التوسعية، من التاريخ القديم (اليونان والرومان)، مروراً بالعصور الوسطى، داخل وخارج القارة الأوروبية، ومن ثم وصولا إلى التاريخ الحديث والمعاصر.

وتكمنُ أهميته، في كونه يتناول موضوعاً مُفرطًا في الإنسانيَّة، لأنه يُسلِّطُ الضوء على مدى القسوة التي عانى منها السجناء في العصور اليونانية والرومانية وفي أوروبا اللاتينية، كما يُركِّزُ على الكشف عن أنواع وأدوات التعذيب التي استُخدمت آنذاك، بالإضافة إلى أنواع السجون، ومن ثمَّ، معرفة الآثار النفسية المترتبة على حجم القهر البشري، ومشكلة الوجدان والضمير، وكذلك، معاناة الإنسان في معسكرات الاعتقال والتعذيب في التاريخ الأوروبي في العصور الوسطى، وما جرى فيها أثناء الحملات الصليبية ومحاكم التفتيش الإسبانية، من جرائم ضد الإنسانية، بالإضافة إلى الاستعمار الحديث والمعاصر في إفريقيا وشمالها وآسيا، حيث تخطَّت أفعال المستعمرين، الخطوط الحمراء في اللاإنسانية.

الكلمات المفتاحية:

أوروبا- الاستعمار- معسكرات التعذيب- سجون - أدوات التعذيب- الوحشية- اليونان- روما.

1 - أستاذ مساعد في قسمي التاريخ والآثار، كلّية الآداب والعلوم الإنسانيّة- جامعة حلب.

مقدّمة

رافقت سياسة التعذيب جُملة، كل المعسكرات والمعتقلات في العالم، خصوصًا لدى القوى الاستعمارية، لاسيما الدولَ الأوروبية، فقد كانت من أكثر الدول وحشية في تعاملها مع السكان المحليين بشكل عام، والمعتقلين بشكل خاص، بدايةً من اليونان والرومان، مروراً بالعصور الوسطى الأوروبية، وصولاً إلى الحملات الصليبية وطُرق التعذيب البشعة، وما آل إليه وضع السجناء.

وأخيراً، معسكرات الاعتقال والتعذيب في التاريخ الحديث والمعاصر، وما فعله المستعمرون الأوروبيون، وعبر مراحلهم المختلفة، من تفنُّن في إيجاد معسكرات الاعتقال، وطرق وأساليب وأدوات التعذيب التي ابتكروها، حيث لا عينٌ رأت، ولا أُذن سمعت، ولا خطر على قلبِ بشر.

أولاً- السجون والمستعمرات عند اليونان والرومان

1 - اليونان

نشأت في مصر عدد من المدن اليونانية، كانت فيها السلطة الملكية اليونانية، تعمل على مراقبة الإدارة، وللإيحاء أن تلك الإدارة مشتركة ما بين اليونانيين والمصريين، لكن الحقيقة، أن السلطة الفعلية كانت لليونانيين، وخير مثال على تلك المدن، الإسكندرية، والمستعمرة القديمة على الدلتا، وهي «نوكراتيس»، و«بطولميايس»، التي أنشأها بطليموس الأول في مصر العليا، ولم يُكثر اليونانيون من مستعمراتهم في مصر، كي يُبقوا سيطرتهم وثيقه على رعاياهم وعلى المصريين، وشتى الجماعات غير اليونانية، وسكان محلّيين حصرهم الإسكندر في مستعمرة «راكوتيس»، التي شكَّلت سجناً كبيراً لهم، مع تحريم الزواج المختلط بين الإغريق والمحلّيين، وتقسيم السكان إلى فئات معينة، خضعت كل واحدة إلى الأعلى شأنًا ونفوذًا منها، ولم تخلُ

كلُّ تلك المستعمرات من السـجون، بما فيها الإسكندرية، التي غدت إحدى أكبر مدن العالم، وقد شـهدت هيجانًا عامًّا، بسـبب وجود القصر الملكي فيها، ولوجود يـد عاملةٍ كان الإغريق بحاجة إلى تسـخّيرها للعمل في خدمتهم. ولكثرة مسـتعمرات الاعتقال والسجون التي أنشأها الإغريـق، ليس داخل مدنهم فقط، وإنَّما في الأريـاف أيضًا، فإن الكثير ممَّن عاش في الأرياف المصرية التابعة للمسـتعمرات اليونانيـة، كانوا مُرغمين على تلك الإقامـة، تحت إدارة صارمة لنظام استعماري عسكري أشرف عليه الجنود الإغريق. كما أنّ السجون لم تقتصر على المغلقة والمظلمة تحت وفوق الأرض، لا بل هناك المفتوحة، والتي كانت معتقلات لا تقلُّ قهرًا وظلما لأولئك المواطنين المصريين، الذين أُرغموا على العمل بالزراعة وإصلاح الأراضي، ممّا عمق الحقد في صدور المزارعين تجاه هؤلاء الدخلاء الأجانب من الإغريق. هذا، ومن شـدة قسوة عيش الفلاحين المصريين في المستعمرات اليونانية، فقد لجأوا إلى المعابد هرباً من الظلم، وبما أنّ الإغريق لم يعملوا على تحسين معاملتهم مع المزارعين، بل تمادوا في القسوة، ظهرت بعض الثورات الحقيقية أواخر القرن الثالث وأوائل الثاني في مصر العليا والدلتا[1].

وفي المرحلة السـلوقية، زاد الإغريق من عدد المدن التي بنوها، فـ"سـلُوقس" وَحْده، أسّسَ (59) مدينـةً، كلَّفت كثيراً من الأرواح والأموال، وكان بناء السـجون والمعتقلات فيها جزءاً من تصميم عمرانها، بحيث لم تخلُ منها مدينة يونانية، مثلها مثل الأسـوار، والحصون، والساحات العامة، والشوارع والمعابد، والأبنية العامة الأخرى، وكلما اتّسعت المدن والمستعمرات، كانت تتوسـع معها السـجون والمعتقلات، ومعسـكرات المنفيين والأسرى والمحكومين، ليس في أراضي مصر فقط، لا بل خارجها أيضًا[2].

وأكثرَ ما احْتَضنَته السـجونُ والمعتقلات ومعسـكرات التعذيب اليونانية، كان المجموعات الجبليـة وبعض البدو، وكل من رفض الخضـوع للإدارة اليونانية. وهناك الكثيرون من سـكان المدن الأصليين، وسكان الأرياف والضواحي، ممّن لم يقبلوا البتَّة الانصياع إلى الأنظمة الإدارية والسياسـية الإغريقية، سواء تمثّل ذلك في أسلوب التعامل، أو فرض صيغ معينة للعمل، تحت القوانـين اليونانيـة، ما خلق حالـة من عدم تجاوبهم مع معاملة قاسـية لهـم تجلَّت في إقامة

1 - إيمار و جانين: الشرق واليونان القديمة، ص464

2 - إيمار وجانين: الشرق واليونان القديمة، ص474

معتقـلات مؤقته سُـمّوا فيها عصاةً، بعد ذلك تـمَّ نقلهم إلى حصون وسـجون خاصَّة، تنوَّعت حسب الأحجام وأساليب التعذيب، لذلك رأوا أنَّ أهمَّ وسيلة لضبط هؤلاء العصاة هي المدن، لحصر غير المتجاوبين بسجونها المتنوعة بوصفهم متمردين. بينما كانوا يرون في أنفسهم منارات مُشعةً لبثِّ إشعاعات حضاريةٍ من المدن، التي ركَّزوا على إعمارها، والاهتمام بها، والإكثار من أعدادهـا، رغم أنّ المَقيمين فيها كانوا من غيرهم، ممّن لم يحصلوا على أحقية المواطنة الكاملة مثل الريف[1].

2 - الرومان

لقد لاقى السـجناء من الأسرى والعبيد وسواهم، معاناةً مُفرطة القسوة عند الرومان، أكثر ممَّا لاقوه عند اليونان، وعلى المنوال نفسـه، انتشرت السـجون داخل المدن وفي الأرياف، وعُومل العبيد معاملة بالغة السـوء فلم يكونوا «... يُباعوا مع العربات والحدائد العتيقة فحسب، بل مع الثيران الطاعنة في السـن أيضاً، فكُلُّ شيء يؤول بالنسبة إليه «النخاس» إلى مسألة إنتاج مماثلة لمسألة إنتاج المواشي التي يغذيها صاحبها، ويحرص على ألاَّ يُنهكها ولا يُسيئ معاملتها...إذا ما أخذنا بعين الاعتبار أعمال العنف التي يأتيها في غياب السَّـيِّد المتكرر، لا يجب أن نبالغَ في تصور «السجون المظلمة»، والتقييد بالسلاسل، وعقوبات الشنق، وهكذا، فقد انحطَّ العبدُ إلى مرتبة الحيوان، وفقدَ كلَّ أملٍ بالعطف وبمسـتقبل أفضل، فتألَّم في نفسه إن لم يكن في جسده، كلما وعى طبيعته البشرية ولو وعياً غامضاً... »[2].

لم يكتـفِ الرومان بوضع المعتقلين في السـجون المتنوعة ومعسـكرات المدن والأرياف، بل كانوا يُدربون قسـماً منهم بالإكـراه في حلبة المصارعـة(palaestra)، ليُنفذوا تلك الرياضة العنيفة في حلباتٍ أمام الجماهير، بُغية تسليتها والترويح عن نفوسها، وبعض تلك الألعاب كان يحضرها الإمبراطور شخصيًّا، لا سيما أيام الاحتفالات والمهرجانات، «... فقد أحيا الإمبراطور "ترايانـوس"، بعد أن تكاثـرَ عددُ الأسرى والعبيد، إثر حروبه في مقاطعة داسـيا(رومانيا اليوم)، وتدويخه لهـا، نحو 120 يوماً على التـوالي من الأعياد الصاخبة وحفلات المصارعة، اشـترك

1 - إيمار وجانين: الشرق واليونان القديمة، ص478

2 - إيمار وجانين: روما وإمبراطورتيها، ص180

فيها(18000) مصارعاً في هذه الأعياد الشعبية الضخمة التي أحياها عام 109م[1].

بهذه القسوة والفظاعة، كانت تسيرُ حياةُ الإمبراطورية الرومانية، وقد شكّل العبيد والسجناء والأسرى والمحكومين البنية السفلى التي تُقدم شتَّى أنواع الخدمات إلى المجتمع الروماني، مأمورةً من قبل المتنفذين بآرائهم، والذين يوجهونهم حسب الحاجة والرغبة، سواء أكان للإشراف على القطعان وترويض غير المروض من الأحصنة وسواها، أو التدريب على مصارعة الوحوش الكاسرة، والسهر على رصد الحدود، وإن كانوا لا يُمنحون الثقة في هذه المهمة، إلَّا أنهم كانوا يُرصدون لكشف محاولات هربهم أو خيانتهم، حتَّى يخلقوا المُبرر الذي يجعلهم يتعرضون لأشد أنواع العقوبات من غير قصد.

وقد ازدادت حاجة الرومان إلى السجناء والأسرى، بعد سيطرتهم على بلاد الشام عام 64 ق. م، فأنشأوا على أرضها معسكرات مُتنقلة في مستعمراتهم، واستخدموا الغفير من سجنائها في بناء التحصينات التي احتاجوا إليها، وحفروا الآبار وبنوا الصهاريج الواسعة، مع إقامتهم لبعض السدود لحصر مياه الأمطار، ونُقر الكثير من القنوات ومجاري الجداول[2].

لقد خشي الأوربيون عمومًا، سواء قبل الميلاد أم بعده، من ازدياد عدد السجناء والأسرى والعبيد في المعسكرات الخارجية والسجون المتنقلة، حذراً من أن يقوموا بتمرد أو عمليات عصيان، وكان الرومان يُوزِّعون السجناء للعمل بالسخرة، ليس في المناجم فقط، وإنَّما بالمحاجر والمصائد، والغابات، وأماكن استخراج الملح، وبما أنَّ روما لم تكن غنية بالمعادن، فقد كانت تُرسِل المعتقلين والعبيد إلى مستعمراتها في بعض بلاد اليونان، وآسيا الصغرى، ومصر وليبيا، وإلى المناجم الغنية في إسبانيا، ومقدونيا، ومناجم "دالماتيا"، و"نوريكوم"، وبلاد الغال، و"سردينيا[3].

ثانياً- أنواع التعذيب وأدواته وأنواع السجون

1 - أنواع التعذيب

تطورت أنواع التعذيب عبر العصور، فقد كان هناك سجناء أُجبروا على القيام بأعمال رياضية

1 - إيمار وجانين: الشرق واليونان القديمة، ص368

2 - أحمد وصفي زكريا: عشائر الشام، ص57

3 - رستوفتزف: تاريخ الإمبراطورية الرومانية الاجتماعي والاقتصادي، جـ1، ص404

عنيفة، كجعل الأسـير أو السجين يصطاد وحشاً في الحلبة، أو يصارع فيلاً لاصطياده، أو يشدُّوا وتراً شـديد القسوة لقوس نشّاب، ومنهم من كان يُجبر على ترويض الخيول الجفولة، بينما كان النـاس يتفاكهون ويتبادلون الأقـوال والتعليقات على الأسرى والسـجناء الذين على مدرجات الحلبات والمسـارح. وغير خافٍ، أنه كان يتمُّ التعامل مع العبيـد بوصفهم مواد تجارية تُقرضُ وتُباعُ وتُؤجر.

هذا ومن أنواع العذابات التي كان يلقاها السـجناء في سجون أوروبا قبل الميلاد، السجن في بئر بعمق قرابة خمسة أمتار وقطر مترين، يُدلّى فيه "السجينُ" بحبلٍ أو يُلقى إلقاءً، وأيضاً كان السـجين يُرمى لتنهشـهُ الكلاب الجائعة المسـعورة، أو القذف تحت أقدام الفيلة وربط السـيوف في خراطيمها وإيقاف السجناء أمامها، وأحياناً إدخال القضبان المسنونة في أجساد المعتقلين وبتر الأطراف، وجدع الأنوف، وفقء العيون، وإحراق السجين بالنار، مع عذابات أخرى منها: إجبار السجناء على السـير فوق الجمر والأشواك الحديدية، والوقوف بلا ثياب مدة طويلة في الجوِّ البارد، والسلق بالماء المغلي، والكي، وكان يتمُّ تنفيذُ أحكام الإعدام من قِبلِ جلادين مختصين داخل السجون، وبعض عمليات التنفيذ تمَّت في الساحات والميادين العامـة أمام الجماهير للاتعاظ والاعتبار، ولعدم الخروج عن طاعة الملك، والإدارة المركزية للدولة. وبعض السـجناء كان يتمُّ اقتيادهم لوضعهم في أجران خاصة مملوءة بالماء ليموتوا غرقًا، وبعضهم كان يتمُّ فيه تنفيذ حكم الإعدام حرقاً، أو الإلقاء في آبار عميقة، وإلقاء أحجار ثقيلة فوقهم[1].

وبشـكل عام، لا يمكن إحصاء أنواع عمليات التعذيب بدقـة، لأنها كانت مفتوحةً ومتنوعة، حسـب رغبة المتنفذ، وحسب طبيعة الأباطرة والملوك والحكام المحليين، الذين كانوا ينفذون أوامر الجهات العليا عبر القادة والفرسـان والضباط، وصف الضبـاط، وكانت الصلاحيةُ كافيةً لمديري السـجون والمعتقلات بابتكار شـتَّى أنواع التعذيب ضد السـجناء، والعمل على تنفيذ الأوامـر بصرامة، مع عمليات التجسـس والمراقبـة عليهم[2]. ولاحقاً ظهرت أسـاليب تعذيب وحشـية، تجلَّت في محاكم التفتيش(Inquisitian) ظاهرها ديني وباطنها سياسي، لم تتردد في

1 - مرقس: حضارات غارقة، ص21

2 - مرقس: حضارات غارقة، ص23

وضع المتُهمين داخل خزائن حديدية تحتوي أبوابها من الداخل على مسامير حديدية طويله وإغلاقها عليهم حتى الموت. وسابقاً عدَّت القوانين اليونانية أنَّ من لا يعبد الآلهة يُعد مارقاً عن الدين وعقوبته الإعدام، وكذلك في التشريعات الرومانية الأمر نفسه، وقد عمدت الحكومة البيزنطية إلى تطبيق ذلك ضد المانويين وسواهم.

لقد «اعتمدت البابوية في محاكم التفتيش، على الدومنيكان الذين شبهوا أنفسهم بكلاب الله في اصطياد الهراطقة، والمحافظة على الرعية ضد الذئاب الضارية، والمفروض في توزيع الأموال المصادرة من الهراطقة أن تكون مناصفةً بين الدولة والكنيسة...أمَّا في إيطاليا، فيُعطى ثلث الأموال للواشي، وقد أدّى التدبير الأخير إلى ملاحقة الأبرياء من قِبل الفئات الانتهازية... وتميزت محاكم التفتيش الإسبانية بالانحراف عن الأهداف الأصلية، إذ وُجهت ضد المسلمين وخصوم السلطات المركزية من أجل مآرب دنيوية، وبمعزل عن البابوية»[1].

ولم ينجُ الأقنان، على الرغم من ارتباطهم بالأرض، من دخول السجون والوسمِ بالحديد المحمّي المتوهج على جباههم وصدورهم وأيديهم، خصوصاً من تمَّ إلقاء القبض عليهم بعد الفرار، وصدرت قوانين فيها أنَّ الأب الذي لديه ابنة في الثامنة عشر من عمرها، عليه إلحاقها لخدمة سيد إقطاعي، وإن رفضت تدخل السجن، مع عدم السماح للأقنان بإرسال أولادهم إلى المدارس، فالتعليم والاشتغال بالكنائس اقتصر على أبناء الأحرار فحسب[2]. كما ظهر سجناء، غير الذين أقاموا في السجون العائمة على متن سفن ثابتة، حيث أقاموا في سفن مسافرة، ذاقوا خلالها ألوان العذاب، وهم يقومون بعمليات التجديف المتواصل من مكان إلى آخر، تحت أوامر ومعاملة قاسية ممن حُكم عليهم بذلك «... ونُزود الثلاثية بمجاديف طول الواحد منها(12م)، يعالج المجذاف الواحد خمسة مجذَّفين، كلهم من الأرقاء أو من المحكوم عليهم بحبس... عند انطلاقه يلهب السوط أجسامهم عند أقل تمهُّل أو تأخُّر في الحركة»[3].

وبمرور الزمن تغيّرت أساليب التعذيب لدى الأوروبيين، ولكن زبانية محاكم التفتيش الإسبانية، فاقوا في وسائلهم من سبقهم، وأضافوا إليها ابتكارات مهولة، ما كان بالمقدور الصمود

1 - اليوسف: العصور الوسطى الأوروبية 476-1500، ص251-253

2 - رينكور: القياصرة القادمون، ص358، هامش(1)، ص71

3 - موسنييه: تاريخ الحضارات العام، المجلد الرابع، ص84

أمامها، ومن وسـائل التعذيب التي شاعت في بداية تشكيل جهاز المحكمة، ملء البطن بالماء، الـذي يؤدي إلى قتلـه اختناقاً في معظم الحـالات، وفي كثير من الأحيـان كان يوخز المُعذب بالدبابيس، أثناء سـكب الماء في أعصابه وشراينه لزيادة آلامه[1]. وهناك أنواع أخرى للتعذيب، كسل اللسان، وتمزيق أثداء النساء، وسحبها من الصدور بواسطة كلاليب حديدية حادة، ومجالد من الحديد الشائك، لجلد المعذبين وهم عرايا حتى يتناثر اللحم من العظم[2]. أمَّا التعذيب بدفن المتهم وهو على قيد الحياة، فقد كان وسيلة مروعة من وسائل التعذيب المبتكرة، فقد كان رجال التفتيش يتخيرون جداراً، في طريق كبير أو ميدان عام، ويحفرون في ذلك الجدار قبراً يوضع فيه المتهم، ثمَّ يعاد البناء بعد ترك فتحة صغيرة لكي يراه الناس وهو يموت ببطء[3].

وحتى الموتى لم يسلموا من تعسُّف المحكمة، فلو حدث وأُكتشف أن المتوفي كان يمارس هرطقـة من أي نوعٍ، فإن المحكمة كانت تأمر بنبش القبر، وإخراج الجثة وبعد وضعها في كيس تُحرق في الاحتفالات الدينية مع الضحايا الآخرين، ولم ينج الفارون من قبضة محاكم التفتيش، وإن لم يتمكنوا من القبض على الهارب، كانوا ينحتون له تمثالاً يحرق في الاحتفالات الدينية[4]. أمَّا سجون ومعتقلات النسـاء، فقد خُصصت الطبقة الوسطى من تلك السجون للنساء اللواتي كان رجال ديوان التفتيش يترددون عليهن من حين لآخر، وكثيراً ما كان يتم ذلك، للعبث بعفافهن في تلك الدار الموحشة[5].

2 - أدوات التعذيب

لقد اُستخدمت أدوات كثيرة ومتنوعة في التعذيب منها: الفؤوس، والأقفال، وأدوات الحراثة، والمقالي، ومغـالي الماء، والسـيوف المثلمة، والمُدى غـير الحادة، والسـواطير، والمخارز، ومواعين صهر الرصاص وسواها، والعصي بأنواعها، والمطارق الخشبية، وكور النار، والمسامير والمنشار النحاسي والحديدي والخشـبي، والقضبان المسنونة، والفيلة، والكلاب المتوحشة،

1 - موسنييه: تاريخ الحضارات العام، المجلد الرابع، ص84
2 - قطب: مذابح وجرائم محاكم التفتيش في الأندلس، ص117
3 الزوبعي: محاكم التفتيش الإسبانية، ص98
4 - الزوبعي: محاكم التفتيش الإسبانية، ص99
5 - محمد علي قطب: مذابح وجرائم محاكم التفتيش في الأندلس ص80

والصقور الجائعة، والخفافيش، والجرذان، والفئران، والأفاعي السامة، والعقارب، والملاقط، والمقابض، والمقصات، والمقاعد ذات النتوءات الحديدية، والأشواك القاسية، وأخشاب الصلب، والمبارد، والعجلات، والمغاطس، وبرك الماء، والحلقات السقفية، والحبال والجنازير، والحجارة، والسموم، وعربات السحل التي تجرُّها الخيول، والأباريق التي تحتوي الماء المغلي والمياه الآسنة، والطحالب، والسياط، والنطوع، والمناطق (الزنانير)، والخوازيق، والخرز للبلع، والدخان، وعصبات العيون، والتجويع، والتعطيش والتخويف، والأصوات العالية، والأرق، والأحمال الثقيلة، والرطوبة العالية، ومشاعل النار، والقضبان الحديدية الساخنة والباردة، والفضلات، ونوى الثمار لفرك نهايات الآذان، والأطمار البالية، والجواليق الثقيلة لإرغام المعتقلين على ارتدائها أحيانًا، بُغية عرقلة تحركاتهم، والجمور، والزيوت المغلية، والصناديق الخشبية أشباه التوابيت، والكراسي المقلوبة، والمراحيض، والمزبات ذات الأشواك الحديدية، والمقارض، والمقارص، والسندانات والمطارق، والأدوات المُحمَّاة للطبع على الجلد، والشناكل..إلخ.

هذه الأدوات اقتصرت في معظمها على السجون المغلقة للسياسيين وقادة الثورات، والتي لا يغادرها السجناء إلَّا بالموت أو بالإفراج عنهم، بعد تعهُّد التعامل مع السلطات[1].

3 - أنواع السجون

أول ذكر للسجن، كان سجن «يوسف» الذي ورد ذكره في التوراة والقرآن، مع ورود ذكر للسجون في بعض مؤلفات اليونان والرومان، وقد كانت بعض السجون على شكل دهاليز، ومنها ما كان مُظلمًا، عُرف لاحقاً على متن السفن التي رسى بعضها على الموانئ البحرية للسواحل الجنوبية في إنكلترا، ونهر التايمز، ومن أشهر السجناء في التاريخ «سقراط»(470-399 ق. م) الذي اتُّهم بإفساد عقول الشبان وإنكار الآلهة، فسُجن وحكم عليه بشرب السم، بينما كان يُجبر آخرون على الغوص في البحار بوسائل بدائية لانتشال الكنوز من السفن الغارقة[2].

لقد كانت سجون المتمردين والعصاة وسواهم من الأعداد الغفيرة، تُقام في معسكرات خاصَّة

1 - المنياوي: إمبراطور الحرب والحب، ص116

2 - مرقس: حضارات غارقة، ص24

على أطراف المدن، وبالأرياف، وتخضع لحراسة مُشدَّدة، مع متابعة لشؤون المحتجزين على مدار الساعة، وهؤلاء كانت تحرسهم قوات كثيرة من الجيش، وعندما كان يحاول بعضهم الفرار تتعقبه قوة من الفرسان الخيّالة الحبَّالة، ويتم الإمساك به بالحبال، وبهذه الحالة يُنقل إلى نوع آخر من السجون داخل المدن وعلى أطرافها فوق الأرض، ليَلقى فيها صنوف العذاب تحت رقابة مُحكمة، وسجنهُ يختلف عن سجون قادة التمردات والعصيانات والثورات، فهؤلاء كانت سجونهم تحت الأرض (ديماس) شديدة الظلمة والرطوبة، يبيتُون في أقبية ويتعرضون فيها لنوع خاص من التعذيب الذي يرافقه التحقيق..»[1].

أمَّا السجون العادية التي فوق الأرض، والتي تخضع لحراسة شبه مُحكمة، ويسمح للسجناء فيها بالتحرُّك في ساحة السجن واستقبال بعض الأقارب في أوقات مُحدَّدة، فتكون عقوبتهم الأساسية هي حجز حرياتهم عقب تعرُّضهم الأولي للتعذيب والتحقيق. ويختلف مكان السجناء هؤلاء عن مكان المجرمين ممن ارتكبوا جرائم قتل، واغتصاب واختطاف، فيختلفَ نوعُ العقاب حسب نوع الجريمة، وبالتالي، تتنوعُ العقوبات ما بين التعذيب أو الإعدام أو النفي أو التعويض المادي، وذلك كله بعد خضوعهم للتعذيب. وكل مُجرم حسب جريمته يُحدّدُ له السجن الذي ينبغي أن يُفرز إليه، والمكان الواجب عليه الجلوس داخله، والمحاكم غير السياسية كان يترأسها القضاة، أمَّا محاكم السياسيين والقادة، فكان يترأسها الملك شخصياً خلال العصور الوسطى في أوروبا[2]، وذلك لأنه كان يتمُّ اعتقال ثائرين أو سواهم ووضعهم في المعسكرات المتنقلة خارج المدن، فتذهب المحكمة إليهم لتقوم بعملية الحكم عليهم، وعندما يستحوذ الجيش على عدد كبير من الأسرى لا يتمُّ إدخالهم إلى المدن، وإنَّما تُقام لهم معسكرات خاصَّة بوصفها سجوناً في الأطراف أو في الأرياف، ويمكن نقلها من مكان إلى آخر حسبما تفرض الظروف، مع الحرص على إبعادها عن الأهالي والسُكَّان المدنيين قدر الإمكان، لئلا تحصل تسربات، وكيلا يطَّلعوا على ما يجري داخلها من تعذيب وسوى ذلك، ولم يكن لدى السجين سوى قطعة خشب، طولها متران وعرضها متر ونصف المتر، وهي سريره على الأرض، ويُعطى له غطاءان من الخيش، يفترش واحداً ويتغطى بالآخر، وتُعطى له قرميدة أو قطعة من البلاط تكون وسادة

1 - بروى: تاريخ الحضارات العام (القرون الوسطى)، المجلد الثالث، ص81

2 - بروى: تاريخ الحضارات العام، المجلد الثالث، ص82

له، ويترك له إناءان يحوي أحدهما ماء للشرب، ويُحفظ في الثاني بوله وبرازه، ويُترك له إناء آخر للزيت، يضع منه في المصباح الذي يلزم بإضاءته ليل نهار[1].

ثالثاً- الأبعاد النفسيَّة لتأثيرات التعذيب وتناقضاتها مع المفاهيم الإنسانية

لقد أدركنا مدى فداحة الأهوال النفسية التي تلحق بالسجناء، والمعتقلين، والمعذبين وذويهم في المعسكرات والسجون المتنوعة اليونانية، والرومانية، والأوروبية عموماً من خلال معرفتنا لأنواع ووسائل التعذيب، « ولكن هذا الوضع بالذات، لم يكن يخلو من محاذير تلحق بالجندي، فتترك أثرها في قدرته الحربية وكفاءته العسكرية، وكان لابدَّ من أن يترك أثره بارزاً في نفس الجندي مهما بلغ من حرص(الإمبراطور) للحدِّ من فعل هذا التطور.. وبعد، فامتداد الخدمة العسكرية واستمرارها مدة طويلة أمر لم يكن ليخلو من المحاذير... فالنظام العسكري الذي كان ساري المفعول إذْ ذاك، كان يحظر على الجندي عقد زواج شرعي، كما أنَّ إقامة هذا الجندي مدة طويلة في المعسكر أو المخيم، كان مُشجِّعًا على التسري الخفي»[2].

وإذا كان هذا حال الجندي، فكيف بالإنسان المعتقل والعبد، وما يعانيه من ارتدادات نفسية وانتكاسات تشعره بانسلاخه عن طبيعته البشرية، جراء عملية عزله في المعتقلات وتعذيبه، فقد كانت تنتاب السجين مشاعر الوحشة، والوحدة، وعدم الانتماء إلى الجنس الآدمي، فهو كان بمثابة كائن حي مُسخَّر لخدمة الأباطرة والملوك والأمراء والقادة وجيوشهم ودولتهم ومدنهم، فلا تعتريه أية أنواع من مشاعر الطموح والعطاء والإبداع، فليس أمامه سوى التفكير بالحرب وويلاتها ومخاطرها، أو الانتحار نتيجة الاكتئاب وفرط القهر، لأنه يحيا مْيتاً، ولا أدنى أمل لديه في العيش بحرية، ولا بالعمل لأجل ذويه أو نفسه، لانسلاخه عن أسرته، وهو معزول عن الزمن، ولا يدري أيَّ موئل يؤولُ إليه، لعلمه بفقدان الأمل وخضوعه عنوةً لمشيئة سيده الذي يأمر بتعذيبه، وليبقى يتحمَّل شتَّى أنواع العذابات النفسية والبدنية التي يخضع إليها، فيتجرد شيئًا فشيئاً من أدنى شعور بالأنس، ويغدو أداةً تعمل وفق أوامر برمجَ نفسه وجهازه العصبي قسراً عنه على التجاوب معها وتقبُّلها على مدار الوقت، وإن لم تسنح له فرصة هرب أو انتحار، يظلُّ خاضعاً لأوامر وبرامج

1 - قطب: ص82

2 - إيمار وجانين: روما وإمبراطورتيها، ص287

المباشرين عليه، الذين كلّفوا بحراسته وتعذيبه، بوصفه خادماً مأسوراً لديهم، لا يرون فيه سوى ذلك، دون أية رحمة أو مشاعر تأنيب ضمير، فلا وجود هناك للوجدان[1].

كما مُورس نوع آخر من التعذيب الجسدي والنفسي، عبر قهر الغفير من العمال الأحرار، لمَّا ألغى مجلس الشيوخ في روما الضرائب عن كبار المُلَّاك، الذين استولوا على كثير من الأراضي العامة، وفرض بالوقت نفسه ضرائب ثقيلة على الفلاحين الصغار، وبالتالي، بانت الحاجة إلى استجلاب السجناء وكثير من الأسرى والعبيد للعمل في الأراضي بدل الذين غادروها مقهورين، وهلك كثير منهم، ممَّا أدَّى إلى اتساع البون ما بين القرى والمزارع الواسعة[2].

رابعًا- دور الكنائس الأوروبية ورجال الدين(الإكليروس) في عملية التعذيب

لم يكن معنى الكنيسة (Church) يُقصد به دار العبادة فحسب، وإنما المدرسة المُديرة لشتَّى العلاقات المادية والمعنوية لدى المجتمع المسيحي، وكان دور الكنائس في تسيير شؤون معسكرات الاعتقالات والسجون، يشبه دور المعابد قبلها، فعلاوة على الدور البالغ الخطورة الذي شغلته الكنائس في عمليات التكفير وإلحاق تُهم الخروج عن الطاعة الإلهية، وطاعة الأباطرة والملوك والأمراء، وتسويغ ذلك أحياناً بفتاوي دينية تحكم من خلالها، وبالتنسيق مع القيادات السياسية بالإعدام أو بالسجن أو بأحكام أخرى على الكثيرين، كان لها دور إداري تنظيمي، تقدم من خلاله القوانين والتنظيمات الإقطاعية فيما يخصُّ الأراضي الزراعية وأحكامها ومتسلميها وإنتاجها، وفرض الأعياد والاحتفالات في المناسبات الدينية وتنظيمها اجتماعيًّا، وتوزيع المهام والمسؤوليات على العسكريين والمدنيين لإدارتها، وكان في حوزة الكنائس قوائم وسجلات بأسماء العبيد، والفلاحين، واللاجئين. والكنائس هي التي كانت تُقدِّم أحياناً نوعاً من الحريات، ترفع بموجبها بعض المواطنين من مرتبة العبودية إلى مرتبة المواطنة العادية، وهي التي كثيراً ما تحكم على الكثيرين بالأشغال الشاقة، لاسيما من كانوا يحتجون على تقديم الحصص الأكبر من المحاصيل الزراعية إليها، وإلى الإكليروس رجال الدين. كما كانت تقع في إرباك عندما يخفُّ عدد الأسرى جراء الحروب، فيتمُّ التشديد من قبلها على العمال والفقراء

1 - إيمار وجانين: روما وإمبراطورتيها، ص288

2 - رينكور، ص71

والمزارعين لتعويض عدد من يعملون بالسخرة، ومن يقومون بخدمة الأملاك التابعة للكنائس، وكان من النادر أن يُحوّل معبدٌ إلى كنيسة لحاجتها إلى مكان أوسع من سَعةَ المعبد، فقد احتاجت إلى موارد كثيرة جعلتها تُحدث أبنية عديدةً كانت تابعة لها منذ أوائل القرن الرابع[1].

هذا وقد ظهرت أنواعٌ من المستعمرات الأوروبية، عُرفت بالمستعمرات الريفية، كانت تابعة بشكل شبه مباشر لسيطرة وسلطة الكنيسة التي فرضت عليها جباية الرسوم وتحصيل الضرائب، لا سيما بعد اتساع الملكية الكنسية، وطبعًا، مثلما كان للمعابد فقد حازت الكنائس على أرض مستقلة لها استقلالاً ذاتياً، فالمعابد التي تبعت السلطات سيطرت على عدد كبير من السجناء والمحكومين للعمل بالسخرة في أرضها مثل: معبد "بيتوكيكي"، الذي امتلك قريةً بأسرها في مدينة "أفاميا"، ومعبد "جوبيتر" الكائن في قرية دُلوك في شمال سورية، ومعبد بعلبك[2].

إنَّ كثيراً من الإرهاصات، التي كانت حصيلة الجدل الديني فيما يخصُّ طبيعة السيد المسيح، ما بين الإلهية والنصف إلهية، وشؤون الإلحاد والإيمان، وتدخُّل الكنيسة في ذلك، دفع كثيراً من ثمنه أولئك الفقراء والبؤساء والأجناد، من دون فرسان الهيكل (Les Templiers)، وبعض من غُرّر بهم للخروج من السجون بغية الدفاع بالقوة عن بعض الأفكار مقابل الإفراج عنهم، ولم تؤثر غالباً بعض الأفكار الصائبة قبل عصر التنوير، وقبل فصل سلطة الكنيسة عن الدولة في تهدئة الأُمور، فيما يخصُّ كون العلاقةَ مباشرة ما بين الله والإنسان، ولا حاجة لأية وساطة بخصوص ذلك[3].

خامساً- معسكرات الاعتقال والتعذيب الأوروبية في العصور الوسطى والحديثة والمعاصرة

1 - معسكرات الاعتقال والتعذيب داخل أوروبا

ظهر الإجلاء والنفي إلى المستعمرات الأوروبية، مثلما أرسلت انكلترا لاحقاً مئة سجين إلى «فرجينا» سنة 1619م، ومن السجناء ما تمَّ بيعهُ بيعاً، وقد أُنشئتْ مستعمرة خاصة للسجناء في «أستراليا» قرب «سدني» من قِبل «بريطانيا»، وكذلك «فرنسا»، أقامت مستعمرة للسجناء في جزيرة

1 - اليوسف: العصور الوسطى الأوروبية 476-1500، ص239

2 - رستوفتزف: تاريخ الإمبراطورية الرومانية الاجتماعي والاقتصادي، ص349

3 - Robert Iaffant, Histoire De L'Humanite, Iv-13001775- UNESCO, P.113

صغيرة قرب «أستراليا»، وأيضاً «إسبانيا»، أرسلت سجناء إلى «أفريقيا» و«جزر كناريا»، والأمر عينه فعلته البرتغال وإيطاليا وروسيا، بإيفاد سجناء إلى «سيبريا» وما وراء القوقاز، ممن حُكموا بالأشغال الشاقة المؤبدة[1].

ربما كانت المعسكرات النازية هي الأبرز داخل القارة العجوز، ولم تقتصر المعسكرات النازية على اليهود فحسب، بل امتدت إلى كُلِّ الأرجاء التي طالها التوسع النازي، وتفاقم الأمر بنقل المسألة اليهودية إلى الشرق الأوسط، ويُقال إنَّ "الهولوكوست" النازي، كان يطمح إلى خلق الصراع بين اليهود والعالم، ولم يكن مجرد حدث مروع وحسب، وإنَّما حدثاً ليس من السهل فهمه على الإطلاق، فهو دوَّن بشيفرته الخاصة، والتي كان لابد من أن تُفك حتى يصبح الفهم ممكناً للفلسفة النازية المتبعة[2].

2 - معسكرات الاعتقال والتعذيب خارج أوروبا

أ - الحملات الصليبية

كانت الحملات الصليبية، خير مثال على العنجهية الاستعمارية الأوروبية خارج حدودها، وقد رافقت كلمة تعذيب وقتل، هذه الحرب، وعلى الرغم من أنَّ الدينَ المسيحي حرَّم العنف، إلَّا أنَّ همجيةَ الصليبين لم تفِ بعهدها حتى للدين الذي تُقاتل باسمه. حيث يُذكر أنَّ الصليبيين«عندما اقتحموا «معرّة النعمان» استدرجوا قادة المسلمين إلى قصر يقع في المنطقة نفسها، وما إن التجأوا إلى هذا القصر حتى أُعمل فيهم القتل رجالاً ونساءً وأطفالاً ومن نجا منهم من القتل والتعذيب باعوهم كعبيد في أسواق النخاسة، ويُذكر أنه عندما دخل الصليبيون إلى بيت المقدس قتلوا حوالي عشرة آلاف، بعدما تمَّ تعذيبهم ثمَّ قُطعت رؤوسهم حتى وصلت دماؤهم إلى ركاب الخيول»[3].

ومن فظائع الصليبين، ما قامت به جماعة صليبية عُرفت باسم "الطفور"، الذين ساهموا في إبادة سكان بيت المقدس فيما بعد، وكان من هؤلاء الذين قاتلوا في "أنطاكيا"، حتَّى أنَّ غذاءهم

1 - شقرة: رحيل عند الهجير مذكرات مدير سجن، ص13-14
2 - باومان: الحداثة والهولوكوست، ص29-30
3 - حماد: الأسرى والصليبيون، ص53-57

اعتمد على جثث الأسرى، فما حلُّوا في مكان إلا إلى وقاموا بهدمه وارتكاب أبشع الجرائم فيه[1].

ويصف "وليم الصوري" فظائع الصليبيين قائلاً: «إنَّ الصليبيين جيل شرير، آثمون مزيفون للدين المسيحي، كما أنَّ المرءَ سيتولىَّ بقلم حذر فظائعهم ورذائلهم الوحشية»(الصوري: الحروب الصليبية، ص979). ويصف أيضاً "دي فتري" أحوال الصليبيين في هذه الآونة فيقول: «الممتلكات الصليبية أصبحت وكراً للمجرمين والأشرار وقتلة الأنفس وقتلة الآباء والخونة»[2]. وبذلك أوضح المؤرخون حال الحروب الصليبية التي اتصفت بنهج وحشي ضد الأسرى والمعتقلين.

ب - أفريقيا وشمالي أفريقيا

لقد ارتكبت فرنسا مجازر راح ضحيتها المئات وأحيانًا الآلاف، وتبقى الحروب الصليبية هي الأيديولوجية المُحرِّكة للاستعمار الفرنسي، فقد أصدرت فرنسا (القانون الأسود) الذي ينظم الإبادة الجماعية، كما استخدمت العديد من أساليب التعذيب، كقطع الأيادي أو فرمهم بالساطور، ومنحت فرنسا امتيازات عديدة لتُجار العبيد، وفي عام 1743م أصدرت قانون (هروب العبيد)، وقرَّرت «إعدام كل عبد يتجرأ على الهرب، فإن قدَّم سيده شكوى على هروبه، قُطعت أذناه ووسم كتفه الأيمن بزهرة الزنبق، وفي حال تكرر هروبه يعاقب بالإعدام شنقاً أو يُقتل بالرصاص»[3].

لقد أنشأت الإدارة الفرنسية الاستعمارية عدداً كبيراً من مراكز التعذيب، ويُعدُّ معتقل "لودي" الشاهد الأكبر على الجرائم الاستعمارية الفرنسية في شمالي إفريقيا، حيث أقيم بين عامي 1954م، و1962م، وهو معسكر اعتقال خلال الثورة الجزائرية الكبرى، وشكَّلت الأقدام السوداء أكثر من 80 % من الموجودين به والبقية من الأوروبيين[4].

وأمَّا معتقل "سان لو" فقد كان يضمُّ(1300) سجين من المسلمين، يُعاملون أسوأ المعاملة،

1 - زكار: حروب الفرنجة، ص210-216

2 - زكار: الموسوعة الشامية، جـ34، ص186

3 - موريل: روزنامة جرائم فرنسا في عالم ما وراء البحار، ص20-70

4 - Funès, Le camp de Lodi: Algérie, 1954- 1962, 2012

ويمـوت بعضهم مـن الجوع والتعذيـب، وكان يضمُّ ضمـن المعتقلين عناصر من الفرنسـيين المتشبعين بالفكر الشيوعي، الذين تعاطفوا مع القضية الجزائرية[5].

طبعا، لا يُمكن الإحاطة بجميع المعسكرات والمعتقلات الفرنسية لكثرتها، فهناك معسكرات رسمية مُصرَّح بها، وأخرى غير مُصرح بها، ويُعتقد أنَّ المعتقلات التي أوجدتها فرنسا في الجزائر تتشابه فيما بينها ومنها: المعتقلات السياسة[6]، والمعتقلات العسكرية، وأهم معتقل من هذا النوع هو معتقل "قصر الطير"[7].

كما اتبعت إيطاليا سياسة النفي ضد المعتقلين والمسجونين في ليبيا، وقد استخدمت وسائل عنف مختلفة، ففي عام 1911م تمَّت أول عملية نفي ضمَّت(950) سـجينًا إلى الجزر الإيطالية، وقد تميَّزت سياسـة إيطاليا بالقتـل الجماعي، «وقد كانت المنافي الإيطاليـة دون رقيب، فأدَّى ذلك إلى انتشـار الأمراض بين المعتقلين، ولم يتوفر بهذه المعسـكرات ولا حتى أبسط وسائل الإقامة، وخاصَّةً في سجن "أوستيكا"، الذي ارتفعت فيه نسبة الوفيات من الشعب الليبي، حتى تكدَّست الجثث على الشواطئ، ودُفنت الجثث في قبور غير عميقة ممَّا جعلها عرضةً للكلاب، وداهمت الكوليرا سـجن "أوستيكا"، ثم تفشَّـت الحُمّى وأمراض الرئة بين المعتقلين وارتفعت نسبة الوفيات... »[8].

جـ- آسيا

احتلَّت بريطانيا الهند لفترات طويلة، وعدَّتها «لؤلؤة المستعمرات»، ولم تسلم من التجاوزات البريطانيـة[9]. وفي أثنـاء إنجاز هذا البحـث، لاحظت إغفال الكثير من الكتـب والمرجع ذكر معسكرات الاعتقال والتعذيب البريطانية في الهند، إذ اقتصرت على ذكر بعض أسماء السجون، وهذا ما يثير الشكوك حول المعتقلات والسجون البريطانية.

لقد ارتكبت بريطانيا مذبحة فضيعة، وهي مذبحة «أمريتسار» ، وكانت أكبر خطأ فضح أخطاء

5 - الغزالي: الاستعمار أحقاد وأطمـاع، ص22-23
6 - عزوي: "المعتقلات في الجزائر أثناء الثورة التحررية"، ص77
7 - طاهر: عهد لا مثيل له، ص196
8 - اللموشي: المنفيون إلى الجزر الإيطالية، ص29، 60، 94، 244
9 - لال نهرو: لمحات من تاريخ العالم، ص118

الإدارة والسـلطة العسـكرية البريطانية، عندما تجمَّع الآلاف من الهنود احتجاجاً على السياسة المتُبعة، فما كان منهم إلَّا إطلاق مدافعهم الرشاشة لمدة عشر دقائق متواصلة، حتى قُتل ما يُقارب أربعمئة هندي وجُرح الآلاف[1].

أما أشـهر المعتقلات البريطانية في الهند، فكان معتقل «سيلار»: وتمَّ استخدامه للمعارضين والنشـطاء السياسـيين، ومعتقل «كالابانغا»، وتمَّ استخدامه كسـجن للذين عارضوا الاستعمار البريطاني، كما اسـتخدمت بريطانيا سياسـة الانتقام الجماعي، وتضمَّنت هذه السياسة تعذيباً وقتلاً جماعياً[2].

الخاتمة

وهكذا، ومن خلال ما تقدَّم في هذا البحث، يتبيَّن لنا أنَّ المستعمرات والسجون والمخيمات الثابتة والمتُنقلة، وحياة الناس، لاسـيما الفلاحين والعمال والأسرى والعبيد والأقنان في أوروبا القديمـة، منذ قـرون طويلة قبل الميلاد، وحتى نهاية العصر الوسـيط كانـت بمثابة أزمة طويلة وعريضة وفي الاتجاهات كافة، وهذه الأزمة المزمنة تخللتها أزمات عنيفة خانقة، لا تليقُ بالمسيرة الإنسانية، تجلَّتْ في تلك السجون المظلمة وأنواع التعذيب والأدوات التي استخدمت فيه، فما ظهر من تاريخ عام «لأوكروبوليس أثينا»، و«لمسـارح روما» المدرجة، وسـوى ذلك، ليس إلَّا مظهراً من مظاهر بدت حضارية للوهلة الأولى، لكنها في الحقيقة شكَّلتْ جحيماً من اللاإنسانية، أخفته في أعماق أعماقها، مثلما أخفت «حدائق بابل المعلقة» أولئك الذين كانوا يعملون تحتها، وتحت أرضها لرفع المياه إليها[3]، والمشكلة الكبرى، أنَّ تلك الأزمات، لم تكن هناك محاولات جـادة للخروج منها أو من بعضها، لعدم توافر الدوافـع والكفاءات وضعف (الميديا) آنذاك في كشف هذه الفضائع، الأمر الذي لم يحرج السلطات الأوروبية القديمة، كما أن مثل هكذا رُؤى، لم تكن تتبلور الإمكانات لها في أوروبا القديمة، لعدم شعور سلطتها بتأنيب الضمير، ولضعف

1 - العقاد: روح عظيم المهاتما غاندي، ص55-60
2 - المحمد الحسين: دراسات في تاريخ آسيا الحديث والمعاصر، ص140-141
3 - انظر: ساغز: عظمة بابل، 2002م

"الميديا" كما ذكرنا وأنواع الإعلام، وعدم المطالبة العالمية بحقوق الإنسان، بينما تضطر أوروبا في العصر الحديث إلى محاولة الاستفادة من أخطاء التاريخ كيلا تكررها وتقع فيها، والعمل على الظهور بالمظاهر الحضارية والإنسانية، وإن لم تتوافر الدوافع الوجدانية الحقيقة لذلك.

ويُستنتج - أيضًا- أنَّ الحروبَ الصليبية، كانت البداية المُعلنة للطبيعة الهمجية في القرون الوسطى، فقد كان تعطش الأوروبيين للدماء وتلذذهم بتعذيب الأسرى من المسلمين، بمثابة حقٍّ من الحقوق، التي منحتهم إياها الكنيسة، إضافةً إلى أنَّ الجانبَ الإسلامي كان ضعيفا، تفتكُ به الاضطرابات السياسية وضياع الوحدة الإسلامية. لم تقم في الشرق محاكم مثل محاكم التفتيش التي قامت في بلاد عديدة من أوروبا مثل: إسبانيا وإيطاليا وفرنسا والبرتغال وألمانيا، لمحاصرة حرية العقيدة والفكر ومطاردة الضمائر والعقول، كما أنَّ الإنسانَ في الشرق، لم يعرف هذا الحجم من الانحطاط واللاإنسانية، كما انحطَّ في الغرب في أزمنة مختلفة، وفي دورات متعددة من التاريخ. وفي التاريخ الحديث والمعاصر، نجد الغرب يرفع راية حقوق الإنسان! بينما دوله كانت أكثر الدول التي تلطخ تاريخها بدماء الأبرياء، ورُسمت فيه أبشع اللوحات الدموية، من طرف الدول الاستعمارية، التي ارتكبت أفظع الجرائم ضد الإنسانية، داخل المعتقلات والسجون، حيث قُدِّرت الضحايا بالملايين.

المصادر والمراجع

أوّلاً- المصادر والمراجع العربية:

- الحسين، م. (2021) دراسات في تاريخ آسيا الحديث والمعاصر، منشورات جامعة حلب، ط1، حلب.
- حماد، م. (1988) "الأسرى والصليبيون"، جامعة قابوس، مجلة الآداب، عدد2.
- زكار، س. (1999) الموسوعة الشامية، جـ34.
- زكار، س. (2011) حروب الفرنجة، جامعة دمشق.
- زكريا، أ. (1983) عشائر الشام، ط1، دمشق.
- الزوبعي، ب. (1983) محاكم التفتيش الإسبانية، الجامعة المستنصرية، بغداد.
- شقرة، ع. (2005) رحيل عند الهجير مذكرات مدير سجن، ط1، دمشق.
- طاهر، ص. (2004) عهد لا مثيل له، ديوان المطبوعات، ط1، الجزائر.
- عزوي، م. (1988) " المعتقلات في الجزائر أثناء الثورة التحررية"، مجلة التراث، عدد3.
- العقاد، ع. (1999) روح عظيم المهاتما غاندي، ط2، الإسكندرية.
- الغزالي، م. (2005) الاستعمار أحقاد وأطماع، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، القاهرة.
- قطب، م. (1985) مذابح وجرائم محاكم التفتيش في الأندلس.
- لال نهرو، ج. (1981) لمحات من تاريخ العالم، دار الأفاق، ط1، بيروت.
- اللموشي، ح. (1991) المنفيون إلى الجزر الإيطالية، مركز جهاد للدراسات، ط1، طرابلس.
- مرقس، س. (1965) حضارات غارقة، دار المعارف، ط1، القاهرة.
- المنياوي، أ. (2010) إمبراطور الحرب والحب، دار الكتاب العربي، ط1، دمشق-القاهرة.
- موريل، ج. (2017) روزنامة جرائم فرنسا في عالم ما وراء البحار، المركز للدراسات.
- اليوسف، ع. (1967) العصور الوسطى الأوروبية 476-1500، المؤسسة اللبنانية للكتاب الأكاديمي، ط1، بيروت.

ثانيًا- المصادر والمراجع المُعربة:

- إيمـار، أ. و أوبوايـه، ج (1964) روما وإمبراطورتيها، ترجمة: يوسـف داغر وفريد داغر، منشورات عويدات، ط1، بيروت.
- إيمـار، إ. و أوبوايـه، ج. (1961) الـشرق واليونان القديمة، ترجمة: فريـد داغر وفؤاد أبو ريحان، منشورات عويدات، ط1، بيروت.
- بروى، إ. (1965) القرون الوسـطى، ترجمة: يوسف داغر وفريد داغر، دار عويدات، ط1، بيروت.
- بـروى، إ. (1986) تاريـخ الحضارات العام (القرون الوسـطى)، المجلد الثالث، ترجمة: يوسف أسعد داغر وفريد داغر، دار منشورات عويدات، ط1، بيروت- باريس.
- رسـتوفتزف، م. (1965) تاريخ الإمبراطورية الرومانيـة الاجتماعي والاقتصادي، ترجمة: زكي علي، مكتبة النهضة المصرية، ط1، القاهرة.
- رينكـور، أ. (1970) القيـاصرة القادمون، ترجمـة: أحمد نجيب هاشـم، الهيئة المصرية للتأليف والنشر، ط1، القاهرة.
- زيجمونـت، ب. (2012) الحداثـة والهولوكوسـت، ترجمـة: حجاج أبو جـبر، مدارات الأبحاث، ط1، القاهرة.
- ساغز، ه. (2002) عظمة بابل، ترجمة: خالد عيسى وأحمد سبانو، الدار السورية الجديدة، ط1، دمشق.
- الصوري، و. (1988) الحروب الصليبية، ترجمة: حسـين حبـشي، الهيئة العامة للكتب، القاهرة.
- موسنييه، ر. (1966) تاريخ الحضارات العام، ترجمة: يوسف داغر وفريد داغر، منشورات عويدات، ط1، بيروت.

ثالثاً- المصادر والمراجع الأجنبية:

- Funès,N. (2012) Le camp de Lodi: Algérie, 19541962-, Paris, éditions Stock.
- Laffant, R. (2005) Histoire De L'Humanite, Iv-13001775- UNESCO.